الديناميَّات النفسيَّة الاجتماعيَّة
للإبادات الجماعيَّة الصدَّاميَّة والداعشيَّة في العراق

أ.د. لؤي خزعل جبر
أُستاذ جامعي، وباحِث متخصص في
علم النفس الاجتماعي السياسي

(مُلَخَّصُ البَحث)

مُجمَل :الإبادة الجماعيَّة Genocide محاولة لمحو مجموعة كاملة من البشر، إما مباشرةً عن طريق قتلهم أو غير مباشرة عن طريق إيجاد الظروف المواتية لموتهم، لأهدافٍ تأديبيَّة تهدف إلى معاقبة الضحية ،ولومه ،والانتقام منه، ومؤسسيَّة روتينية تقع في سياق الحرب، ومنفعيَّة تهدف إلى تحقيق مكسب معيَّن، واحتكاريَّة تهدف إلى تحديد المهيمنين على السلطة، وإيديولوجيَّة تهدف إلى إيجاد مجتمع أمثل ،ومحو كل ما هو غير نقي. والدراسة العلمية للإبادة الجماعية بطريقة معرفية هادئة ضرورة إنسانية وتاريخية؛ لأن النواتِج المُرعبة المأساوية لهذه الظاهِرة تهدد عمق الوجود البشري والقيم البشرية. وهي ظاهرة مركَّبة، يمكن أن تُقارَب من جهات متعددة: فلسفية، وسياسية، وسوسيولوجية، واقتصادية، وتاريخية، ونفسيَّة، ولكل من هذه المقاربات قيمته الفائقة في فهم الظاهرة، إلا أن الأبعاد النفسية الاجتماعية تقع في جوهر تلك المُقاربات. وفي دراسة سابقة للباحِث عن الذاكرة التاريخيَّة العراقيَّة (جبر، ٢٠١٤)، تبيَّن قوة حضور الإبادات الجماعيَّة – الصدَّاميَّة والإرهابيَّة – ضمن أهم الأحداث في التاريخ العراقي المُعاصِر في الذاكرة التاريخيَّة العراقيَّة، ووقعَت ضمن العامِل الأوَّل (المُعاناة) في محتوى تلك الذاكرة، ذلك العامِل الذي ترابط بشبكة معقدة من العلاقات مع الثقافات السياسيَّة والحركات الاجتماعيَّة؛ ولذلك ستعمَل الدراسَة الحاليَّة على تبيان الديناميَّات النفسيَّة الاجتماعيَّة للإبادة الجماعيَّة عبر مراجعات شاملة للأدبيات المتخصصة، وتوظيف تلك التبصُّرات في فهمِ الإبادات الجماعيَّة في السياق العراقي، إذ شهِد السياق العراقي حملات إباديَّة متعددة، ومروِّعَة، في زَمَن التوتاليتاريَّة والداعشيَّة، ومقاربة كهذهِ تشكل ضرورة وجوديَّة في العراق.

الكلمات المفتاحيَّة: الإبادة الجماعيَّة، الذاكرة التاريخيَّة، المعتقدات المجتمعيَّة، التاريخ الثقافي، الانفصال الأخلاقي.

مقدمة

الإبادة الجماعيَّةGenocide هي محاولة لمحو مجموعة كاملة من البشر، إما مباشرةً عن طريق قتلهم، أو غير مباشرة عن طريق إيجاد الظروف المواتية لموتهم. وعَدَّ مؤتمر الأمم المتحدة الإبادة الجماعية أفعالا يتم ارتكابها مع وجود نيَّة تحطيم مجموعة، قومية أو عرقية أو إثنية أو دينية، كلياً أو جزئياً. وقد حدد الدارسون فئات للإبادة الجماعيَّة: (١) تأديبيَّة تهدف إلى معاقبة الضحية، ولومه، والانتقام منه، و(٢) مؤسسيَّة روتينية تقع في سياق الحرب، و(٣) منفعيَّة تهدف إلى تحقيق مكسب معيَّن، و(٤) احتكاريَّة تهدف إلى تحديد المهيمنين على السلطة، و(٥) إيديولوجيَّة تهدف إلى خلق مجتمع أمثل ومحو كل ما هو غير نقي (شتاوب وبارتال، ٢٠١٠، ص١١٨٢-١١٨٤).

شهد العراق – عبر تاريخِهِ – كل هذهِ الإبادات، فمُنذُ أزمنته السحيقة وحروب الامبراطوريات والجماعات تدور في أرضِه، ومع تأسيس دولته الحديثة انبثقت إشكاليَّات داخليَّة إثنيَّة وإيديولوجيَّة، تفاعلت مع سياقاته الإقليمية والدولية، لتنتج صراعات دامية متنوعة. ولعلَّ لذلك تكرَّست في ذاكرة ناسِهِ التاريخيَّة هذه الأحداث، ففي دراسة جبر (٢٠١٤) لأهم الأحداث في التاريخ العراقي المُعاصِر في الذاكرة التاريخيَّة العراقيَّة، جاء في المقدمة "المقابر الجماعيَّة، ومجزرة حلبجة، والعمليات الإرهابيَّة، والتوترات الطائفيَّة"، إلى جانب "الحرب العراقية الإيرانية، وحرب الكويت، والحصار الاقتصادي"، برؤية اجماعيَّة مرتفعة السلبية، واجتمعت – الأحداث السبعة – ضمن العامِل الأوَّل (المُعاناة) في محتوى تلك الذاكرة، ذلك العامِل الذي ترابط بشبكة معقدة من العلاقات مع الثقافات السياسيَّة والحركات الاجتماعيَّة، مما يشير إلى مدى عمق تلك الأحداث في البنية الوجدانيَّة لناسِهِ (جبر، ٢٠١٨، ص٤٠٧-٤١٨). وقد وثِّقَت هذهِ الأحداث بمؤلَّفات ومؤسَّسات، عراقيَّة ودوليَّة، وهي ممارسة فائِقة الأهميَّة التاريخيَّة الأخلاقيَّة، إلا إنَّ ذلك غير كافٍ، فالأهم من التوثيق هو الفهم؛ لاكتشاف البواعث العميقة الدافعة لوقوع تلك الأحداث، بهدف مقاومة تكرار تلك التجارب المأساويَّة، وهو ما يحاوِل البحث إنجازه، فالبحث لن يُعنى – بشكل أساس – بتأرخة أحداث الإبادات الجماعيَّة وتسجيلها، وإنما بتحليل ديناميات حدوث تلك الإبادات. والدراسة التحليلية للإبادة الجماعية بطريقة معرفية هادئة ضرورة إنسانية وتاريخية؛ لأن النواتِج المُرعبة والمأساوية لهذه الظاهِرة تهدد عمق الوجود البشري والقيم البشرية. وهي ظاهرة مركَّبة، يمكن أن تُقارَب من جهات متعددة، فلسفية ،وسياسية ،وسوسيولوجية ،واقتصادية، وتاريخية ،ونفسيَّة، ولكل من هذه المقاربات قيمته الفائقة في فهم الظاهرة، إلا أن الأبعاد النفسية الاجتماعية تقع في جوهر تلك المُقاربات. والأبعاد النفسيّة الاجتماعية في

الإبادة الجماعية موضوع معقَّد ،ومتشعِّب، وواسع ،وعميق، لا يُمكِن الإحاطة بتفصيلاتِهِ في بحث إجمالي؛ ولذلَّك فضَّل الباحِث اعتماد الدراسات السابقة التي تولَّت تقديم صورة كليَّة للموضوع. وقد أُجريَتْ مُراجعات شاملة وتفصيليّة للأدبيات ذات الصِلة بالإبادة الجماعية والعنف الجماعي، ظهرت في دراسات عدَّة. ولعلَّ دراسَتَيStaub & BarTal ٢٠٠٣ وHulsizer & Woolf ٢٠٠٥ – بحسب رأي الباحِث – تمثِّلان أشمل وأدق وأغنى مُراجعتين؛ لاشتغالهما على الأدبيات المركزية، ومحاولة عدم الاكتفاء بالعرض المجرَّد، وإنما التصدي لصوغ أنموذج نظري كُلي. وستعمل الدراسة الحالية على عرض هذين الأنموذجين بشكل مختزل ووافٍ، ومن ثم توظيف معطيات الأنموذجين في تحليل الإبادات الجماعية في الحقبتين الصدَّاميَّة والداعشيَّة.

الخلفيَّة النظريَّة

أنموذج Staub & BarTal ٢٠٠٣

حدد هذا الأنموذج نمطين من العوامل المتفاعلة، تخلق ثمانية معتقدات، لتشكيل عمليَّة الإبادة الجماعية (الشكل ١).

الأوضاع المجتمعيَّة Societal Situations

- الأوضاع المحرِّضة: الصعوبات الاقتصادية ،والتوتر السياسي ،والفوضى ،والتغير الاجتماعي الكبير والسريع، التي تمثّل نقاطاً كافية – منفصلة أو مجتمعة – لبداية العمليات التي قد تؤدي إلى العنف الجماعي.
- الحاجات الأساسيّة: تحبط الأوضاع الحياتية الصعبة الحاجات النفسيّة الأساسيّة، كالحاجة للأمن ،والهويَّة الشخصية والاجتماعية الايجابية ،والتواصل مع الآخرين، وفهم الواقع، والحاجات الروحيّة.

العمليّات النفسيّة والعناصر الثقافية Psychological Processes and Cultural Elements

- التماثل مع الجماعة: تجعل الأوضاع المحرِّضة من الصعب على الفرد أن يقف وحده في مواجهة المشاكل، فيتجه إلى الابتعاد عن الهويّة الفردية التي تصبح ثقيلة حين يكون غير قادر على توفير سبل العيش لنفسه أو أسرته، أو تصيبه البلبلة بسبب الفوضى السياسية والاجتماعية من حوله، أو يهدده الصراع مع المجموعة الأخرى، فينتهي عند الحركة الإيديولوجية للهوية.
- كبش الفِداء: يعد لوم المجموعة الأخرى عن مشاكل الحياة رد فعل شائع، يثير مجموعة ما ضد أخرى، وبمرور الزمن يشيع الاعتقاد بين المجموعة أن الطرف الآخر على خطأ،

ومن شأن هذا الاعتقاد أن يجعل الشخص يشعر بأنه ليس مسؤولا عن الصعوبات الاقتصادية ومشكلات الحياة الأخرى. وحين يفضي الصراع إلى تبادل الضرر يصبح من الشائع لكل مجموعة أن تلوم الأخرى ولا تقر ولا تعي بمساهمتها.

- الإيديولوجيات: الناس بحاجة إلى تصورات ايجابية في الأوقات الصعبة، بحاجة إلى أيديولوجية، ولكن الايديولوجيات التي تنذر بعنف المجموعة تصبح مدمرة حين تحدد كل من يقف بوجه تلك الأيديولوجية بوصفه عدواً. وكثيراً ما تحمي المجموعات القوية قوتها وامتيازاتها عبر تطوير رؤية للعالم تسوغ ذلك التفوق، وحين تتحرك ضد مطالب الجماعات الأخرى، فإنها لا تدافع عن تفوقها فحسب، بل عن رؤيتها للعالم. والأيديولوجيات هي شكل من المعتقدات المجتمعية التي تتطور في كل المجتمعات، تتضمن أهداف المجتمع، وأساطيره ،وذاكرته الجماعية ،وصورته الذاتية ... .
- تاريخ من بخس القيمة: يوجد بخس القيمة في الإبادات الجماعية كافّة. ونزع المشروعية شكل حاد من أشكال بخس القيمة، فهو يتساوى مع وضع المجموعة في فئة شديدة السلبية بوسائل خمس هي: نزع الإنسانية، والنبذ، وتوصيف السمات، واستعمال الألقاب السياسية، واستعمال المقارنات بين الجماعات.
- الذاكرة الجماعية: تحوُّل المجموعات الخبرات المهمة إلى رموز، ولاسيما المعاناة الواسعة، في ذاكرتها الجماعية، وهو ما قد يحافظ على الشعور بالجرح وبالظلم على مدى أجيال. وتستعمل الذاكرات الجماعية التي تتعلق بالصدمات لتقديم تفسير لمعنى الأحداث المعاصرة والخبرات، فضلا عن غياب الأمن، قد تؤدي إلى اعتماد الذات غير المسوغ، وعدم الاهتمام بالقواعد الدولية، واعتماد العنف بوصفه وسيلة لحماية الذات. وفي الحالات الحادة قد تؤدي الخبرات السابقة إلى عقلية الحصار، وهو معتقد مجتمعي جوهري يفيد بأن المجموعات الأخرى لها نوايا سلبية نحو المجموعة التي تقف وحيدة في عالم يتسم بالعدائية.
- الاحترام الشديد للسلطة: الاحترام الشديد للسلطة يضيف إلى لاحتمال الثقافي للإبادة الجماعية، فالمعتادون على الانصياع يبدون وكأنهم يجدون صعوبة في الوقوف وحدهم في مواجهة مشاكل الحياة أو صراع المجموعة؛ ولذلك سيبحثون عن الزعماء للانصياع لهم وتسليم أنفسهم للجماعة، كما أنهم لن يعارضوا السياسات والممارسات غير الأخلاقية والهدامة، مما يسمح بتطور العنف لحدّه الأقصى.
- المجتمعات الواحديَّة: إن قبول المعتقدات المتباينة ،والتعبير الحر عن الآراء، والانخراط العام في القضايا ،ووصول المجموعات إلى المجال العام يجعل من المرجح وجود

معارضة للسياسات والأفعال التي تعرض بعض المجموعات للأذى كافة، مما يجعل التطور نحو القتل الجماعي أو الإبادة الجماعية أقل احتمالاً. كما أن المجتمعات القمعية التقليدية تشهد صعوبة بالغة في دمج التغيرات الثقافية، ما يحبط الحاجات الأساسية.

النُخب والمتفرّجون Elites and Bystanders

- القادة والنُخَب: عادة ما يكون الزعماء هم الذين يبنون الإيديولوجيات المدمرة، إذ يستحضرون الذكريات الجماعية السابقة للضحية، ويخلقون مؤسسات توجّه أو ترتكب عنفاً، كالمكاتب الحكومية ،وقنوات الاتصال من أجل الدعاية والترويج ،والمجموعات شبه العسكرية. وأحد الآراء الشائعة هو أن الزعماء يفعلون كل ذلك لكسب التابعين أو تدعيم سلطتهم ونفوذهم عليهم أو حماية موقعهم لكونهم أعضاء في النخب، إلا أنهم يتأثرون بمزيج الثقافة والظروف المحرضة التي توجد النزاعات نحو لوم الآخرين ،والتحرُّك ضدهم، وقد يحمل بعض الزعماء شخصياً بعض الجروح التي لم تندمل بعد من جراء مشاعر الضحية. فقد تستند الزعامة المدمرة إذن إلى شعورهم ومعتقداتهم الحقيقية، مما يلبي حاجاتهم الأساسية في أوقات عصيبة، أو قد يكون تلاعباً تدفعه المصلحة الذاتية، أو مزيجاً من الاثنين.
- المتفرجون: عادة ما يبقى المتفرجون الداخليون – ممن هم ليسوا جزءً من الحركة الإيديولوجية أو من المجموعة الآثمة – سلبيين في مواجهة الكراهية والعنف المتزايدين. وكجزء من المجموعة نفسها يتأثر المتفرجون الداخليون بالظروف والثقافة المحرّضة مثل: بخس قيمة المجموعة الضحية. وأما بخصوص المتفرجين الخارجيين، فقد تتجه المجموعات والأمم الخارجية لأن تتخذ موقفاً سلبياً أو داعماً للآثمين. والموقف السلبي والداعم يسهم مساهمة مهمة في تسهيل تحقق الإبادة الجماعية.

المعتقدات المجتمعيّة Societal Beliefs

تتطور – خلال الصراع – معتقدات مجتمعية توجد روحاً للصراع، مما يساعد الناس على التأقلم والتعايش مع موقفهم المهدد الصعب، كما تغذّي العنف . فهي تلبي حاجات أساسية، ولاسيما لفهم الحقيقة غير الأكيدة والهوية الإيجابية. وهناك ثمانية معتقدات جوهرية في هذا المجال:

١. الطبيعة المشروعة لأهداف الجماعة: تسوغ تلك المعتقدات الأهداف التي يتم تحديدها في الصراع، ومن أجل إظهار الأهمية القصوى لتلك الأهداف، يتم التأكيد على أن الفشل في تحقيقها قد يهدد وجود المجموعة.

٢. الصورة السلبية عن الخصم: تشكل المجتمعات صورة سلبية عن الخصم، وتتكثف تلك المعتقدات التي توجد عادة حتى قبل أن يصبح الصراع متصلباً أو حتى قبل أن يصبح الصراع نشطاً.
٣. الصورة الذاتية الإيجابية: تقوم المجتمعات في الصراعات المتصلبة بتطوير معتقدات وتبنيها تسعى بموجبها إلى المحافظة على صورتها الذاتية الإيجابية وتدعيمها. وتتضمن المهارات والمحاسن والأفعال الإيجابية التي تمت في الماضي والتي قد تكون أخلاقية أو بطولية، والمساهمات الإيجابية للإنسانية والحضارة.
٤. شعور الضحية: يعتقد المجتمع في الصراع المتصلب أنه ضحية الخصم، ويبني جملة من المعتقدات المرتبطة بتعرضه للضرر من الخصم.
٥. الأمن: تبين هذه المعتقدات الظروف الضرورية للأمن الشخصي والقومي، اللذان يؤديان إلى احتدام العنف ضد الآخر، إذ يصبح الأمن قيمة مجتمعية مركزية في أثناء الصراع المتصلب.
٦. الوطنية: تحافظ الوطنية على الولاء، وتعبئ أفراد المجموعة للعمل، إذ يطلب من الناس التضحية بحاجاتهم ،ويسهموا في تحقيق أهداف المجتمع.
٧. الوحدة: تؤكد المعتقدات عن :الأهداف ،والقيم، والتقاليد ،والأصول ،والتاريخ المشترك أهمية الاحتفاظ بالوحدة عن طريق تجاهل الخلافات الداخلية في مواجهة التهديد الخارجي.
٨. السلام: ترى هذه المعتقدات أن السلام هدف نهائي، كما تصف المجتمع على أنه محب للسلام. إن تقديم السلام على أنه الهدف الأسمى عادة ما يتم بصورة مثالية و عامة ومبهمة مثل الحلم أو الرغبة، من دون تحديد المعنى المحدد للسلام أو وسائل تحقيقه.

المنع والتداخل Prevention and Intervention

يستطيع الزعماء التغلب على بخس القيمة ،وتكوين الصورة الإيجابية عن المجموعة عبر الكلمات والأفعال. وبدلاً من اللجوء إلى كبش الفداء والأيديولوجيات المقسّمة للاستجابة للأوضاع الحياتية الصعبة، يمكن للزعماء أن يفرزوا تصوراً وخططاً للمستقبل تتضمن المجموعات في جهود مشتركة لتحسين الحياة كافة . ولكن من دون تغييرات هيكلية من الصعب تكوين التغييرات النفسية وإدامتها . وعند وقوع الصراع تصبح عملية التوفيق ضرورة، وتتم عبر تشكيل الذاكرة الجماعية المشتركة، وتضميد الجروح والمسامحة، وتوظيف الاعتذارات، ومفوضيات الحقيقة، والمحاكمات العامة، ودفع التعويضات، والتعليم، والمشروعات المشتركة (شتاوب وبارتال، ٢٠١٠، ص١١٨٥-١٢٢٦).

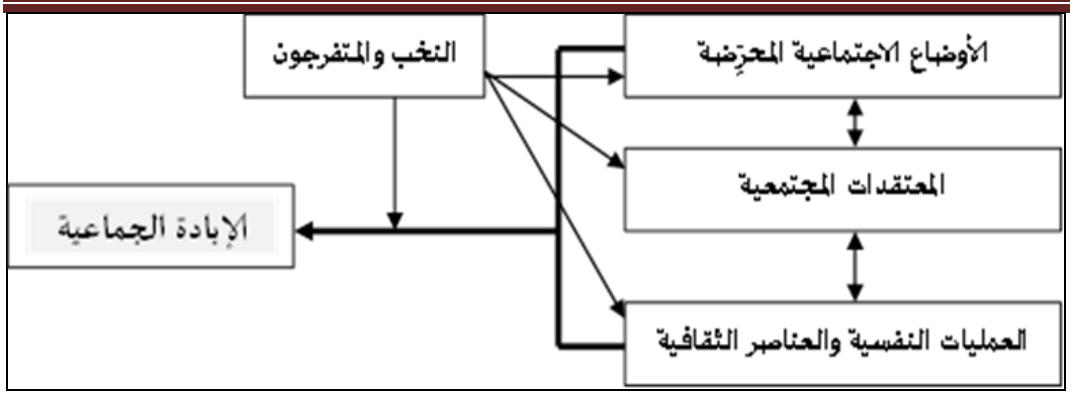

الشكل (١) أنموذج Staub & BarTal ٢٠٠٣ للإبادة الجماعية

أنموذج Woolf & Hulsizer ٢٠٠٥

حدد هذا الأنموذج ثلاثة أنماط من العوامل المتفاعلة، وسبع خطوات متتابعة، لتشكيل عمليَّة الإبادة الجماعية (الشكل ٢).

التاريخ الثقافي للجماعة Group Cultural History

يعيش الإنسان، ويتكوَّن، ضمن تشكيلة من الثقافات ذات التواريخ المتمايزة، والهويَّة وإدراكات العالَم تتشكّل عبر الثقافة، كما أن معنى المعياري ومدى ارتباطه بالأخلاقيات والعلاقات الاجتماعية محكوم بالسياق الاجتماعي الثقافي. وهناك ثلاثة أنماط عامَّة تَوسم ب "ثقافة العنف": (١) استعمال العنف بوصفه مهارة معيارية لحل المشكلات، و(٢) توحّد صراعي متجذِّر في افتراض الكراهية مع وجود تهديد مُدرَك، و(٣) إيديولوجية تفوقيَّة متجذِّرة في تاريخ من التجريد من الإنسانية ،ومأسسة طويلة للتحيُّز ،وافتقار لقبول التنوُّع الثقافي. وكل واحد من هذه الأنماط يمكن أن يوجد على المستوى الثقافي الواسع والمحدد. فالعدوان والعنف يمثلان – في عدد من المجتمعات – جزءًا من الحياة اليومية، ويفترض أنه النظام الطبيعي للحياة، وقد يُشار إلى كونه جزءا طبيعيا من النشوء التطوري الإنساني لا يمكن تجنبه. وهذا الخط من التفكير قاصِر؛ لكون المنظور التطوري يبين أن هناك عوامل أخرى، كتطور اللغة ،والقدرة على التنظيم ،والتعاون من أجل البقاء المتبادل ،وتطور السلوك الاجتماعي الإيجابي، أدت أدواراً حاسمة في بقاء البشرية أكثر من السلوك العدواني. والإبادات الجماعية في القرن العشرين كانت كلها مرتبطة أو بين أمم ذات تاريخ من الصراع العدواني والحرب. فالثقافات ذات التاريخ العدواني، ولاسيما التي تبجل العنف، ذات احتمالية أعظم لممارسة أشكال عديدة من العنف. وقد أظهر الباحثون في العدوان والتعصب وجود علاقة قوية بين التهديد المُدرَك والسلوك التعصبي والعدواني، كما أثبتوا أن الأفراد ذوي التحيزات العزوية العدائية أو توجه التهديد المُدرَك أكثر ميلاً لإدراك نيَّة العدوان في أفعال الآخرين. وقد امتدَّت هذه العلاقة للأمم، فغياب الفكر الجيد أو التبادل الحر للمعلومات

الدبلوماسية يجعل الأمم ذات توجه التهديد وتفترض أن الجماعة الأخرى تمثل خطراً أو تختزن الكراهية، وتكون مستعدة لصراع عسكري. وتتنوع الثقافات في درجة التنوُّع، ودرجة الانفتاح، والتقبُّل للتنوُّع. والتعددية – بذاتها – لا تزيد احتمالية العنف ضد الآخرين، وإنما ارتباط العنف بدرجة تقبُّل الأفراد والجماعات والأمم والأيديولوجية التفوقيَّة. فقد وجد – مثلاً – أن الأفراد ذوي توجه الهيمنة الاجتماعية أكثر ميلاً لتقبل العرقية الحضارية، ودعماً للنخبوية الجنسية والوطنية والثقافية. كما أن الإيديولوجية التفوقيَّة داخل الثقافة تتجذَّر في تاريخ من تجريد الآخرين من الإنسانية، ومأسسة مُصاحِبة للتحيُّز ضد الجماعة المُستهدفة. وكُل متغيرات التاريخ الجماعي تتفاعل لتسهيل احتمالية العنف الجماعي، في حين لا يمكن للثقافات تغيير تواريخها، فيمكنها أن تغير إدراكها لتلك التواريخ، والعمل على تخفيف مأسسة توجه التهديد المُدرَك ،والإيديولوجية التفوقيَّة ،واستعمال العدوان بوصفه أداة أوليَّة لحل المشكلات. (Woolf & Hulsizer, 2005, p.102-104)

العوامل الموقفيَّة Situational Factors

الثقافات قد تحمل بذور الكراهية والعنف، إلا أن هناك عوامل أخرى تسهم في إثارة الأفعال العدوانية ،وتنمية الخصومة، مما يجعل من الضروري النظر للموقف الحالي الذي تتواجد فيه لبحث تلك العوامل.

- الأزمات المُزعزِعَةDestabilizing Crisis : ظروف الحياة الصعبة تزيد احتمالية الإبادة الجماعية، ولكن هذه المقاربة مبسَّطة للغاية، فعدد من الجماعات، ولاسيما الجماعات المُهمَّشة تعيش في ظروف قاسية يومية، تمتد من الفقر إلى تهديد البقاء، من دون القيام بأعمال منظَّمة للعنف. والتاريخ يبين أن الأدق التركيز بدلاً من ذلك على مواقف الأزمات، وبشكل خاص الظروف التي تزعزع المنطقة. فالأزمات يمكن أن تكون مُقلِقة ومدمرة للأفراد، وربما تؤدي إلى فقدان مكانة الجماعة، وتصعيد الخوف، وإحباط الحاجات والرغبات، وتشويش الهوية الشخصية، وزيادة التعصُّب. كما أنَّه ضمن مدد الأزمات يلجأ الأفراد إلى الجماعات الدينية والطائفية والسياسية بحثاً عن الإحساس بالأمان ،والانتماء، والهوية ،والتوازن. وهذه الأزمات التي تزعزع المنطقة، والمواقف التي تنتج ظروف حياة صعبة غير متوقعة في المجتمعات غير المعتادة على صعوبات كهذه، تقدِّم تمهيداً كبيراً لانبثاق العنف الجماعي والإبادة الجماعية. فالإبادات الجماعية الأساسية في القرن العشرين كلها تضمَّنت أزمات مزعزعة قدَّمت وقوداً غنياً للفعل الثقافي التدميري. فضلا عن الأزمات الاقتصادية أو السياسية، نجد أزمات ترتبط بالسيادة على الأرض والموارد، والتفاوت في امتلاك القوة والموارد، وندرة الموارد، والأزمات البيئية،

وتهديد الهوية الوطنية أو الجماعية، وتهديد الصراع أو الحرب، يمكن أن تزيد احتمالية العنف والعدائية داخل الجماعات وبينها . وعندما تجتمع أشكال عِدَّة من الأزمات معاً و/أو نتائج أزمات سابقة أطول وغير محلولة، فإن إمكانية العنف تتزايد (Woolf & Hulsizer, 2005, p.104-105) .

- القادة التسلطيونAuthoritarian Leaders : أحد الملامح الأساسية للدول التي تشهد الإبادة الجماعية وجود الحكم التوتاليتاري والشكل التسلطي للحكومة. فتأثير القادة يمكن أن يستعمل لتحويل المكونات الموجودة وتضخيمها داخل المجتمع إلى ثقافة تتسم بالطاعة القوية للدولة والحكّام التسلطيين ،والافتقار للتسامح مع التنوّع. فكل الإبادات الجماعية الأساسية المعروفة حدثت في مرحلة أزمات شهدت محاولات فاشلة للديمقراطية ،وانبثاقا لسلطة توتاليتارية. ويجب ملاحظة أنه قد لا تكون الديمقراطيات مسؤولة مباشرة عن الإبادة الجماعية، فإن هناك أدلة تثبت أن الأمم الديمقراطية أدت دوراً معقداً في أثناء العنف والقتل الجماعي، كدعم الولايات المتحدة – بالأدوات والأشخاص والتدريب– للجماعات الممارسة للإبادة الجماعية. ومع ذلك يبقى تأثير الرئيس للقادة التسلطيين، الذين يعملون على تقوية السلطة وإدامتها عبر إبعاد المعارضة ،ومركز القوة ،وتعزيز اقتصاد المصلحة الخاصة ،وخلق ثقافة وبني تحتية تدميرية ،وإحياء الإيديولوجيات التدميرية (Woolf & Hulsizer, 2005, p.١٠٦-١٠٧) .

العوامل النفسية الاجتماعية Social-Psychological Factors

تشكّل العوامل النفسيّة الاجتماعية أهم العوامل المؤدية إلى الإبادة الجماعية، إذ تتفاعل بشكل جدلي عميق مع الثقافة والمواقف مُنتِجَةً المُسبقات الحاسمة للإبادة الجماعية .

- المعرفة الاجتماعيةSocial Cognition : المعرفة الاجتماعية تعني طريقة تفكير الناس بذواتهم والآخرين. وقد أشار تاجفل وتيرنر إلى أن الناس يميلون إلى تقسيم العالم إلى نحن وهم، ،إذ تكون الجماعة الداخلية التي يتوحَّدون بها مكوناً مهماً لهويتهم الاجتماعية، فالتقدير العالي لهذه الجماعة يوجد هوية اجتماعية ايجابية، والعكس بالعكس؛ ولذلك يعملون على تعزيز هويتهم الاجتماعية عبر تعزيز جماعتهم بقيمة عالية متمايزة عن الجماعات الخارجية: تحيز الجماعة الداخلية. أحد النواتج المحتملة لمحاولة تحقيق هوية اجتماعية عالية وادامتها. وهو التعصب الموجه للجماعة الخارجية، الذي قد يبلغ حد التمييز والعنف. وأقصى النواتج السلبية لتحيز الجماعة الداخلية تحدث عند اجتماع رؤية إيجابية متطرفة للذات وسلبية متطرفة للآخر. كما أن الناس يتجنبون التفكير بعمق بالموضوعات ما لم تؤثر في حياتهم ،ويبحثون عن المعلومات التي تثبت معتقداتهم:

التحيز التوكيدي، فضلا عن نزعة الناس لصياغة ارتباطات وهميَّة بين ظواهر غير مرتبطة لدعم نسق معتقداتهم، وكذلك خطأ العزو الأساس ،إذ ينزعون لعزو السلوك إلى أسباب داخلية استعدادية ،وتجاهل التفسيرات الموقفية، مما يبعث لديهم الرغبة بـ الاعتقاد بعدالة العالَم الذي يقودهم للوم الضحايا عن الأحداث المؤذية (Woolf & Hulsizer, 2005, p.١٠٩-١١٠).

- التأثير الاجتماعيSocial Influence : التأثير الاجتماعي يعني العملية التي يؤثر بها الناس على من حولهم، وهي العملية التي تشكل هدفاً للتطويع من القادة الإباديين، عبر البحث عن تشكيل ثقافة. فعدد من الثقافات تقيّم ،وتشجع الاذعان و الانصياع والطاعة، وتدعم ذلك التقاليد والأعراف والمعايير الثقافية، مما يُشعِر الأعضاء بضغط للانخراط في الكراهية والعنف، ويصبح الضغط واضحا عند حضور رمز السلطة، فوجود رمز سلطة قوي مع تقنية القدم في الباب هو الآلية المفضّلة عند القادة لتسهيل العنف. كما أن الجماعات المتماسكة جداً تميل إلى تفضيل أسلوب اتخاذ القرار الذي يؤكد على تجانس الجماعة، فالجماعات التي تمتلك تفكير جمعي تميل باتساق إلى الاتفاق مع القائد ،وقمع التقديرات الواقعية للموقف ،وتجاهل وجهات النظر البديلة المحتملة (Woolf & Hulsizer, 2005, p.١١١).
- العلاقات الاجتماعيةSocial Relations : التعصُّب والإيثارية والعدوان أهم العلاقات الاجتماعية ذات الصِلة بالإبادة الجماعيَّة. وأحد أقدم المحاولات لفهم العلاقة بين التعصب والعدوان هو نظرية كبش الفداء، فعندما يُحبَط الناس في أزمنة الفقر الاقتصادي يميلون إلى إيذاء الجماعات الخارجية. والجماعات التي لها قدرة محدودة على الدفاع عن نفسها، كالنساء ،والأطفال ،والأقليّات الدينية والعرقية، يكونون هدفاً للعدوان.لتقدم بعدها نظرية الصراع الواقعي مسلَّمة أن التنافس بين المجموعات على الموارد يقود إلى لتصلُّب والصراع، وهو ما يحدث في المواقف التي يمكن للجماعة فيها تحقيق هدف على حساب جماعة أخرى. ويمكن لمن في السلطة تطويع مدى واسع من العوامل النفسية الاجتماعية إما بأفعال بنائيَّة أو تدميريَّة، وذلك عبر دمج المؤسسات الحكومية، وإيجاد تنظيمات حكومية جديدة ذات أجندات سياسية خاصة، والسيطرة على الإعلام (Woolf & Hulsizer, 2005, p.١١٢-١١٣).

مسارات الإبادة Paths of Genocide

تمثل الإبادة الجماعية نتاج تفاعل العوامل السابقة ضمن مراحل محددة بشكل عام، كل مرحلة تتصف بمستوى محدد من العنف مصاحب لعمليات موازية.

١. تقديم الجماعة صوراً نمطية واتجاهات سلبية نحو الجماعة الخارجية، وبمرور الزمن تصبح مأسسة ضمن الثقافة. وفي الثقافات التي تتصف بقبول العنف البدني والنفسي يتم إغفال الأفعال العشوائية للكراهية أو إدراكها على أنها أقل من أفعال العنف ضد الجماعة الداخلية. ويعزز القادة هذه الأفعال بحسب أجنداتهم ،واهتمام الثقافة ،ومعتقداتهم المرتبطة بالتفوق الداخلي للجماعة. فالتاريخ الثقافي المقيم للعنف فضلا عن أن إيديولوجية التفوق تقدم أساساً للحركة المستقبلية على امتداد مسار العنف.

٢. يحدث فقدان الامتيازات والفرص عندما يتم إنكار وصول أعضاء الجماعة الخارجية لخدمات معينة ويُستَبعدون من التنظيمات ،ويُحَدُّ من قدرتهم على التحرّك في مجالات الفرص التعليمية والمهنيّة. وهنا يحدث الوصم stigmatization، إذ تتزايد الصور النمطية والإزدرائيّة للجماعة الخارجية، وتتواصل عملية الاستبعاد عبر عمليات الغزو السلبي.

٣. ترافق الوصم وفقدان الامتيازات ينتج فقدان الحقوق المدنية الأساسية، فربما يُنكَر حق أعضاء الجماعة الخارجية في التصويت، والأرض، وممارسة العمل، ويجدون تطبيق القوانين مختلفا معهم. ويعمل القادة والنخب على تزايد مستويات التجريد من الإنسانية عبر التعزيز المتزايد للصور النمطية والسلبية، ويشكّل التجريد أداة ضرورية لتقليل التناشز المعرفي الذي يحدث عندما يتصرف الفرد بسلبية نحو كائنات بشرية أخرى.

٤. عندما لا يواجه فقدان الحقوق المدنية احتجاجاً، يصبح من السهل فرض العزلة على الجماعة الخارجية، الذي من أمثلته مناطق الأقليات ،والترحيل، والتطهير العرقي. كما يقوم بعض أعضاء الجماعة الخارجية بعكس آثار تلك الفقدانات وتعزيز الصور النمطية، مما يرسخ تلك الصور في المجال الاجتماعي العام، ويديم دائرة الاستبعاد والاستهانة.

٥. فقدان الحقوق المدنية والعزلة يسرّع الحركة على مسار الإبادة تجاه الحرمان من الحقوق الإنسانية الأساسية، إذ يمنع أعضاء الجماعة الخارجية من التعليم والمعيشة الكريمة، والعزلة تساعد على تجاهل هذه الأحداث. وهنا تتم عملية الاستبعاد الأخلاقي، إذ لا تطبّق المبادئ الأخلاقية على الجماعة الخارجية، ليكون قتل أحد أفرادها يعد خارج دائرة الواقع الإنساني والأخلاقي، فتكتمل عملية الانفصال الأخلاقي .

٦. تواجه الجماعة الخارجية تهديداً وجودياً شديداً ، فتبدأ ممهدات الممارسات العنفية، وتقع عمليات القتل الجماعي . ومدى الانخراط في مسار الإبادة يحدد – جزئياً هنا – بمدى مقبولية العدوان والعقاب ضمن ثقافة الجماعة الداخلية المترافقة مع الشعور بالحصانة وإمكانية إنجاز تلك الأعمال العدوانية من دون الوقوع تحت طائلة العقاب.

٧. يتم إنكار الإبادة الجماعية، حتى وإن حدثت. ويستمر ذلك الإنكار مصاحباً لانتهاك الضحايا والاعتداء على ذاكرتهم، ويمتد ذلك للتدوين التاريخي الذي يلمِّح ؛لأنهم لم يوجدوا أو لم يقتلوا، ويكون مؤذياً ومؤلماً بشكل خاص للناجين ومجتمعاتهم، إذ يديم إحساسهم بالمظلومية، مما يزيد الكراهية ويولِّد حركات تدميرية (Woolf & Hulsizer, 2005, p ١١٤-١١٨) .

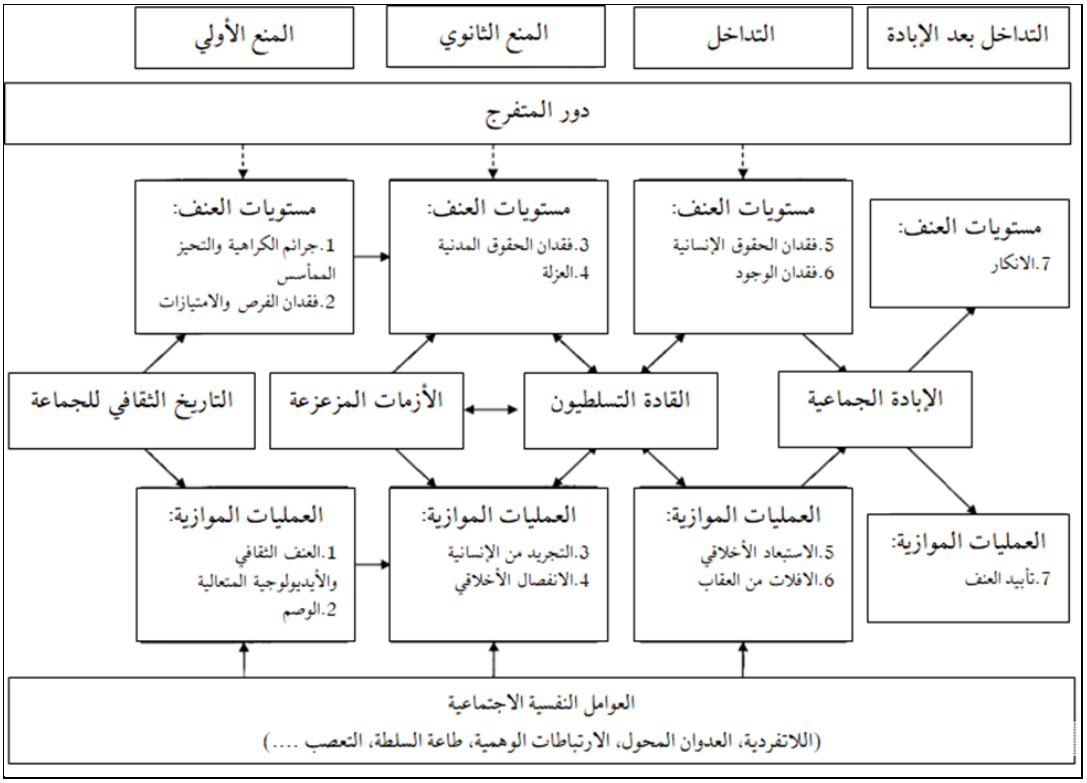

الشكل (٢) أنموذج **Woolf & Hulsizer** ٢٠٠٥ للإبادة الجماعية

المنع والتداخل Prevention and Intervention

يهدف المنع إلى إعاقة حدوث الإبادة الجماعية، في حين يهدف التداخل إلى معالَجة عوامِل ونواتج الإبادة الجماعيّة. فهناك منعان (أولي وثانوي) وتداخلان (عواملي ونواتجي). يعمل المنع الأولي على بناء "ثقافة السلام" عبر الاشتغال في أربعة مجالات واسِعة: (١) تفكيك الكراهيات التاريخية وأنماط التفاوت، و(٢) تعزيز العلاقات الإيجابية بين الجماعات، و(٣) التعليم المركّز على التفكير المستقل النقدي، ومهارات حل الصراعات بالطرائق اللاعنفية، و(٤) تطوير الحكومات الديمقراطية وتأصيل الثقافات التعددية. ويعمل المنع الثانوي – في لحظات الأزمات المُزعزِعة – على تحشيد المجتمع الدولي لتخفيف الأزمات والضغط على الحكومات ذات التوجهات التدميرية المحتملة. ويبدأ التداخل العواملي منذ لحظات تعرُّض الجماعة ضمن الثقافة للحرمان من الحقوق المدنيّة والإنسانيّة، في حين يشتغل التداخل النواتجي على مداواة الجراحات المتوغلة عميقاً لدى الناجين من الإبادة

الجماعية، ومحاولة منع العنف المستقبلي (Woolf & Hulsizer, 2005, p. ١٢١-١٢٥).

الإبادات الجماعيَّة الصدَّاميَّة والداعشيَّة

كل الإبادات الجماعيَّة تشترك في الجوهر النفسي الاجتماعي "التدميري" Destructiveness، وتشتغل بذات الديناميَّات والمؤثرات (المُبيَّنة في الأنموذجين النظريين)، ولا تختلِف إلا في التمظهرات والمحتويات التفصيليَّة للتجارب والغايات والسياقات والخطابات. فالإبادات الصدَّاميَّة والداعشيَّة – وبقية الإبادات – واحدة في العمق، وإن اختلفَت في السلطات والجماعات والمنطلقات والمسارات والممارسات، وفي الفقرتين القادمتين إشارة إلى هذهِ الخصوصيات.

الإبادات الصدَّاميَّة: التوحشيَّة التوتاليتاريَّة

الجماعات المُستهدَفة :الكرديَّة والشيعيَّة والمُعارِضَة.
الخطاب :سياسي قومي.
النِطاق.(16/7/1979–9/4/2003) :
العلامات :تهجير التبعية) بحسب قرار إسقاط الجنسية ٦٦٦ في ١٩٨٠/٥/٢٦، هجر قرابة ٦٠٠,٠٠٠ من الشيعة، ومن الكرد الفيليين الشيعة ٣٥,٠٠٠٠ مرحل، و١٥,٠٠٠ مختفي)، وحملات الانفال) تدمير ٤,٥٠٠ قرية كردية، و٣١ قرية مسيحية، وقتل ١,٠٠٠,٠٠٠–٣,٥٠٠,٠٠٠، ونزوح ١,٠٠٠,٠٠٠، واختفاء ١٧,٠٠٠، وتضمنت مجزرة حلبجة16–17/3/1988 ، حيث قتل ٥,٥٠٠، وإصابة ٧,٠٠٠–١٠,٠٠٠)، والمقابر الجماعية 346) مقبرة من ١٩٨٠–٢٠٠٣، ضمَّت الآلاف من الجماعات المُستهدفة، وبالتحديد من حملات الانفال، ١٩٨٦–١٩٨٩، والانتفاضة الشعبية،1991 ، مِن بين ١٠٠,٠٠٠–١٨٠,٠٠٠ قتيل، إضافة إلى المُعارضين.(

ليست القضية الكرديَّة والشيعيَّة، وتغييب المُعارَضَة، وليدة الحقبة الصدَّاميَّة، فقد رافقت تشكيل الدولة العراقيَّة، ففي مذكرة الملك فيصل بن الحسين (١٨٨٣–١٩٣٣) الشهيرة، في (١٥–٣–١٩٣٢)، ورد: "العراق مملكة تحكمها حكومة عربية سنيَّة، مؤسسة على أنقاض الحكم العثماني، وهذه الحكومة تحكم قسماً كردياً أكثريته جاهلة، بينه أشخاص ذوو مطامع شخصية، يسوقونها للتخلي منها بدعوى أنها ليست من عنصرهم، وأكثرية شيعيَّة جاهلة، منتسبة عنصرياً إلى نفس الحكومة، إلا أن الاضطهادات التي كانت تلحقهم من جراء الحكم التركي الذي لم يمكنهم من الاشتراك في الحكم، وعدم التمرن عليه، والذي فتح خندقاً عميقاً بين الشعب العربي المنقسم إلى هذين المذهبين، كل ذلك جعل مع الأسف هذه الأكثرية، أو

الأشخاص الذين لهم مطامع، خاصة الدينيون منهم، وطلاب الوظائِف بدون استحقاق، والذين لم يستفيدوا مادياً من الحكم الجديد، يظهرون بأنهم لم يزالوا مضطهدين لكونهم شيعة، ويشوقون هذه الأكثرية للتخلي من الحكم الذي يقولون بأنه سيء بحت ... أقول وقلبي ملآن أسى: أنه في اعتقادي لا يوجد في العراق شعب عراقي بعد، بل توجد كتلات بشرية خياليَّة، خالية من أي فكرة وطنيَّة، متشبعة بتقاليد وأباطيل دينية، لا تجمع بينهم جامعة، سمَّاعون للسوء، ميَّالون للفوضى، مستعدون للانتفاض على أي حكومة كانت" (الحسني، ٢٠٠٨، ج١، ص١٠-١٢). والنص يشير – بوضوح – إلى صورة نمطيَّة سلبيَّة للكرد والشيعة، عند أنضَج رجال الدولة العراقية الحديثَة وأعدلهم وأحكمهم، مما يؤكِّد عمق الانقساميَّة، فالكُرد جماعة اجتماعيَّة ذات هويَّة قوميَّة مختلفة، دأبَت على تكريس تلك الهويَّة – بنزعة انفصاليَّة – في محيط مُغاير يضم هويات عربيَّة وتركيَّة وفارسيَّة، ودخلت – في سياق ذلك – في صراعات متواصلة مع دول تلك الهويَّات، وفي العراق لم تحاوِل أغلَب الحكومات تفهم خصوصية ومتطلبات الكرد بعمق واستيعابها، فحتى محاولات ذلك كانت تتسم بالشكليَّة، كما تعرضَّت لارتدادات خطيرة، انتهت بمواجهات عسكريَّة متعددة وقاسية، كما أن بعض القيادات الكرديَّة لم تكن متجاوبَة مع تلك المحاولات، وشكَّلَت تحالفات مع الدول المعادية للعراق، وكانت طرفاً في إضعاف النُظم المتعاقبة، مما جَعَل القضيَّة الكرديَّة مستعصية، وهناك قطيعة بين الجماعة والدولَة، ونظر الدولَة للجماعة بوصفه كيانا متمردا ومُقلِقا ومعاديا، ونظر الجماعة للدولة بوصفها سلطة قامِعَة مُهددة (يُنظَر: أدمون، ١٩٧٣، ولازاريف، ٢٠١٣، وكذلك ديب، ٢٠١٣، وداويشة ٢٠١٩)، وأما الشيعة فهي جماعة اجتماعيَّة ذات هويَّة مذهبيَّة مختلفة، وبخلاف الكرد كانت تمثل أكثرية، وذات امتدادات شاسِعَة ومتداخلة، وتستبطِن بنية نفسية عقائِدية قائِمَة على الظُلم والاضطهاد التاريخي الطويل؛ ولذلك كانت شديدة التحسس للاستبعاد السياسي والاجتماعي الذي كرَّسته الحكومات المتعاقبة، وبقيت تحمل شعوراً بالاغتراب عن تلك الحكومات، ولكن لم تدخل – إلى حد بعيد – في صراعات مباشرة، بل كانت حاضنة رئيسة للحركات اليساريَّة والقوميَّة العربيَّة، تلك الحركات التي دخلت في صراعات مع الحكومات، ومع بعض، على خلفية إيديولوجيَّة، لا مذهبيَّة، ومع ذلك بقيت النُظم المُهيمنة تنظر لهذه الجماعة بأنها كيان معارِض، ونُسبِت إلى الفرس، كقوميَّة وكمذهبيَّة، ولاسيما مع تشكل الحركات السياسية الدينية الشيعيَّة، والتوترات المتواصلة مع الحكومة الإيرانية (يُنظَر: العلوي، ١٩٩١، والنفيسي، ٢٠١٣، وكذلك ديب، ٢٠١٣، وداويشة ٢٠١٩).

في سياق القطيعة بين الدولة والجماعات لابد أن يحضر العنف، فالعنف – بشكل عامٍ – سمة سائِدَة في النظم العربية، فالدولة العربية بنية حديثَة مستورَدَة، مفروضَةٌ بشكلٍ استعماري في سياقٍ تراثي قَبَلي سُلطاني، وتراثٌ تسلطي؛ ولذلك وصفت الدولة العربيَّة بـ "دولة تسلطيَّة، كارهة للديمقراطية"، فكان العنف أحد الخيارات الرئيسة في تأمين السلطة وحل المُشكلات (يُنظر: النقيب، ١٩٩٦، وإبراهيم، ١٩٩٩، ومكية، ٢٠٠٥، والأيوبي ٢٠١٠). وفي العراق يكتسب العُنف زَخماً مُضافاً، فالعنف في المجتمع العراقي سمة مهيمنة، سياقية، لا جوهرانية، تأسست وتكرست نتيجة أزمنة طويلة من البنيات الاقتصادية الاستغلالية والبنيات السياسية التسلطية، حتى تحوَّلَت إلى ثقافة اجتماعية (يُنظر: الوردي، ١٩٦٥)، وكانت الصدَّاميَّة تعبيراً متطرفاً عن تلك النزعة، ولاسيما بعد أن تعرَّض البعث لانتكاسات في تجربته السياسية، مع انطلاقِهِ من رؤية قوميَّة شوفينيَّة، وتسيد – في لحظاته المتقدمة – التوجهات القبليَّة؛ ولذلك استعادَت الحُقبة الصدَّاميَّة – وراكَمَت – كل أنماط الخوفِ ولحظاتِهِ السابِقَة، لتبلغ به حدوده القصوى: الشَغَف بالموت، فحَكَمَت بالموت، وعمَّمَتهُ، ومأسَسَته، وزيَّنَته، في مختلف المجالات، في الفن ،والأدب ،والتاريخ ،والاجتماع ،والسياسة ،والاقتصاد، حتى أطبَق على المجتمع كله، عمَّ الشوارِع والمحافِل العامَّة، ودخَلَ البيوت وغرف النوم، بل بين الفرد ونفسِهِ، واستقطَب كل الانقسامات الهويَّاتيَّة والذاكراتيَّة، وعذابات الناس لم تعد غير مهمة فحسب، بل صارت ضرورية لبقاءِ النِظامِ ومُتعَتِه (ينظر: الجزائري، ٢٠٠٦، ومكية، ٢٠٠٩، وجبر، ٢٠٢٠). فكان من الطبيعي أن يكون العنف المتوحش هو الخيار الأول في الذهنيَّة الصدَّاميَّة في التعامل مع المُهددين الفعليين والمُتخيلين. ونتيجة للتاريخ المذكور من التوترات بين الدولَة والجماعتين الكردية والشيعية، فضلا عن بداية الحقبة بالصراعات العراقية الإيرانيَّة، والتحالُف المُدرَك بين الجماعتين والدولة الإيرانية، صارت الجماعتان في مقدمة التصورات المعادية. فكانَت عقدة اتفاقيَّة الجزائِر (١٩٧٥) مِن جهة، تدفع باتجاه كراهية الأكراد، ومشكلة الثورة الإسلاميَّة الإيرانيَّة (١٩٧٩) من جهة أخرى، تدفع باتجاه التخوُّف من الشيعة، لتجتمع في حدث الحرب العراقيَّة الإيرانيَّة (١٩٨٠-١٩٨٨)، إذ تحالَفَت بعض القوى الكرديَّة وبعض القوى الشيعيَّة مع إيران، وتتعزز في الانتفاضة الشعبية (١٩٩١)، بعد حرب الكويت (١٩٩٠-١٩٩١) ،إذ انقضَّت القوى الكردية والشيعيَّة مباشرة على النظام، فأسقطته في أغلَب المحافظات، وكادَت تطيح به.

توترات تاريخيَّة، في سياق من العنف الثقافي، وإيديولوجية شوفينيَّة، ولَّدَت تحيزات مُمأسَسَة، وفقدان للفرص والامتيازات للجماعتين الكرديَّة والشيعيَّة، وتكوين صور نمطيَّة سلبيَّة، نزلت للثقافة الشعبية العامَّة، ووصمَت الجماعتين، لتأتي الأزمات المُزعزِعَة، مُتمثلة

بالحربين الضاريتين، اللتان عصفَت بالبنية السياسية الاقتصادية للدولَة، فالحرب العراقيَّة الإيرانيَّة بعد (١٩٨٢) بدأت تهدد العراق بعمق، وقد امتدَّت – بخلاف المتوقَّع – لتستنزِف – بشكل قاسٍ – كل إمكانيات الدولَة، وحرب الكويت أطاحَت بما تبقى من تلك الإمكانيات، إذ سحقت ركيزة السلطة الأساسيَّة: الجيش، كما شكَّكَت بسرديته القوميَّة، وبلغت باستياء الناس – نتيجة ضغط الحروب – الحد الأقصى، وفي الوقت نفسه فسحت المجال لخطاب التجريد من الإنسانيَّة تحت تصنيف التخوين، واللاوطنيَّة، وأوجَدَت مساحات واسعة لاشتغال آليات الانفصال الأخلاقي. ومع وجود القادة التسلطيين، بل النيكروفيلين، الشغوفين بالموت، بلا شك ستكون النتيجة استلاب الحقوق الإنسانية والوجوديَّة، للجماعات المُستبعدَة أخلاقياً، في ظل دولَة ضاريَة، تبيح للمنفذين الممارسات اللاإنسانيَّة الإفلات من العقاب الرسمي والشخصي، فهم مجرد أدوات مُكرَهَة، لا تمتلِك إلا إطاعة الأوامر، في ثقافة تسلطية، متماهية بالسلطة، ومُقدسة للطاعة، ومسكونة بالخوف. فابتدأت الإبادة الجماعيَّة منذ اللحظات الأولى للحقبة، عبر تهجير آلاف من العراقيين الشيعة العرب والكرد إلى إيران بتهمة التبعيَّة، فصودِرَت ونُهبِت ممتلكاتهم، وتم ترحيلهم بطرائق وحشيَّة، ليموت في العراء وفي ظروف بيئية قاسية مئات منهم، وفي الوقت نفسه إبادة الحركة السياسية الشيعية العربية: حزب الدعوة الإسلامية، تحت تسمية "العميل"، عبر حملات تعذيب وإعدام هائِلَة، بالحقيقة والشبهة، وهروب المئات منهم – في هذا السياق – إلى خارج العراق، واتخاذ التبعيَّة والدعويَّة وسيلة لقمع الجماعة الشيعيَّة، وتأمين السيطرة عليها، لتأتي حملَة "الأنفال" – بما تحمله هذه التسمية من سرديات تسويغية – لإبادة الجماعة الكردية، على خلفية التحالف المُدرَك مع إيران، لتمتد لسنوات، مسحت قرى بالكامِل، واستعمَلَت كل ما يُمكن من قسوة مفرطَة لتدمير تلك الجماعة، لتتأسس بعد ذلك الحملة الثالِثَة تحت تسمية "الغوغاء"، لإبادة الجماعتين في آن واحد، بعد المواجهة المباشرة، وإحساس النظام بقمة ضعفه وهشاشته، ووصوله ذروة التهديد، فكانَت حملته الدموية في استعادَة المحافظات المنتفضة، ضمن خطابٍ سياسي قومي، يرى في تلك الجماعات "خائِنة لا عربيَّة"، كل ذلك تحت أنظار المُتفرجين الداخلين والخارجيين السلبيين، الداخليين لفقدان القدرة على التعبير والفعل والتأثير، والخارجين، من دول إقليمية ودولية، صغرى وكُبرى، التزمت الصمت، وفي أفضل الأحيان اكتفت بمجرد الإدانة الباهتة، وفي حالة الانتفاضة، فسحت المجال للنظام لممارسة حركته التدميرية مع قدرتها على منعه، لتنفذ هذه الإبادات بحريَّة كاملة، مخلفة آلاف مهجَّرَة، وألف مُقبَرَة، والبقية مُحطَّمَة، خاضعة لتوتاليتاريَّة متوحشة.

الإبادات الداعشيَّة: التوحشيَّة الدينيَّة

الجماعات المُستهدَفة :الشيعيَّة وغير الإسلامية والمعارِضَة.
الخطاب :ديني مذهبي.
النِطاق.(6/6/2014-10/7/2017) :
العلامات :تهجير المسيحيين) قرابة ١٠٠,٠٠٠)، ومذابح الشيعة) سجن بادوش، ١٠-٦-٢٠١٤، ٦٧٠ قتيل، ومعسكر سبايكر، ١٢-٦-٢٠١٤، ١٠٩٥-١٩٩٧ قتيل من ١٥ محافظة)، وجريمة سنجار الأيزيديية2014-8-4) ، 5000 قتيل، ٤٢٠٠-١٠٨٠٠ مخطوف، ١٥٠٠ مغتصبة، ١٠٠٠ سبية)، والمقابر الجماعية 202) مقبرة من ٢٠١٤-٢٠١٧، ٩٥ في نينوى، و٣٧ في كركوك، و٣٦ في صلاح الدين، و٢٤ في الأنبار، ضمَّت قرابة ٦٠٠٠-١٢٠٠٠ قتيل من الجماعات المُستهدفة.(

ليست الطائفية المذهبيَّة والدينيَّة وليدة الداعشيَّة، بل ذات جذور عميقة تعود إلى بدايات تشكل الخطابات الإسلاميَّة، فالانقسام الإسلامي الأوَّل كان هو الانقسام السُني – الشيعي، وهو انقسام سياسي اجتماعي اقتصادي في حقيقته، دُعِم بمنظومات اعتقادية، وهي منظومات تقاطعية، إذ تزيد الفجوة بين الأطراف المتنازعة، إذ تضع الجماعة الداخلية في جانب الحق والخير المطلق: الفرقة الناجية، والجماعات الداخليَّة في جانب الباطل والشر المطلق: الفرق الهالكة الضالَّة (يُنظر: الاسفراييني، ١٩٨٣، والعاملي، ٢٠٠٩). والانقسامية الدينيَّة والمذهبيَّة ملازِمَة للعنف في مختلف الديانات (ينظر: دوكر، ٢٠١٨، وجيرار، ٢٠١٩، وجبر، ٢٠٢٠). وفي التاريخ الإسلامي تجلَّت في صفحات دامية، وإبادات معروفَة، وكانت الجماعة الشيعيَّة مركز اضطهادات واسعة عبر ذلك التاريخ بأجمَعِهِ. ولعلَّ السلفيَّة – كانت ولا زالت – الجهة الرئيسة المعادية للشيعة، والسلفيَّة تيار فكري متجذر في البدايات الإسلاميَّة، عُرِف – بدايَةً – بأهلِ الحديثِ، تشكَّل في المدينة المنورة مع الإمام مالك بن أنس (٧١١-٧٩٥)، ثم تكرَّس – عند تصاعد تيارات مُغايرة أخرى في العصر العباسي – مع الإمام أحمد بن حنبل (٧٨٠-٨٥٥)، وتبلورَت التسمية ،وتعمَّقت المنهجيَّة ،وتكاملت النظريَّة مع شيخ الإسلام ابن تيميَّة (١٢٦٣-١٣٢٨) وتلميذه ابن القيم الجوزيَّة (١٢٩٢-١٣٥٠)، وانتهَت – إلى حد ما – عند محمد بن عبد الوهاب (١٧٠٣-١٧٩٢)، لتمتدَّ في مسالِك متنوعة عِدَّة، جوهره النصيَّة والنقليَّة، ومعارَضَة العقليَّة والذوقيَّة، ومعياريَّة وحاكميَّة طريقَة وتصورات ومتبنَّيات السلف الصالِح، فهُم الأسلَم والأعلَم والأحكَم، ومركزيَّة التوحيد بفهمِ السَلَف، ومحاربة الفِرَق المُبتَدِعَة (عثمان، ١٩٨١، الحفني،١٩٩٣، عمارة، ١٩٩٤، مبير، ٢٠١٤، سالم وبيوني، ٢٠١٥). والبيئة الاجتماعيَّة التقليديَّة البسيطة التي شهِدَت البدايات الاسلاميَّة، فَرَضَت – كما يؤكد عمارة – التقبليَّة النصيَّة العفويَّة، فكانَت صورَة الإله

البسيطة : الكامِل المُفارِق، بصفاتٍ غيرُ قابِلَةٍ للفهم، ولا للسؤالِ، فضلاً عن التأويل، بل للإيمانِ السَلَفي، حيثُ جماعةٌ مثاليَّة هي المرجعيَّة الكُبرى في رسم معالِم الإله، هذهِ البساطَة القلقَة انعكسَت على عدوانيَّة مُفرِطَة نحو المغايرين "المبتدعين"، بل انعكسَت – بالنتيجة – على صورة عدوانيَّة للإله؛ لذلك نجد النقد التكفيري الهائِل لمختلف الاتجاهات اللاهوتيَّة، والفلسفيَّة ،والمذاهِب الدينيَّة، مِن فلاسفة ومتكلمين ومتصوفة، أشاعرة ،ومعتزلة ،وشيعة، وفي كتبِ عبد الوهاب، وبشكل خاص "كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد" – الكتاب الأعظَم للسلفيَّة المُعاصرة – نلمَسُ خطورة تلك البساطَة، فالكتابُ صغير، عبارة عن أبواب محدودة، تُفتتح بآياتٍ وأحاديث، وتُذيَّلُ بتعليقات ارشاديَّة مُقتضبَة، وهو – كما يقول الديري – إذا ما قيسَ بأُمَّات الكتب الكلاميَّة عن التوحيد، وما تتضمَّنه من جدالات فلسفيَّة ولاهوتيَّة عميقة، نجد أن لا قيمة له (الديري، ٢٠١٧، ص٨١)، لكنَّه اختزنَ طاقة تأثيريَّة كبيرَة، حدد المشكلة لا في توحيد الربوبيَّة، وإنما في توحيد الألوهيَّة والصِفاتيَّة، فكلُّ من عبدَ غيرَ الله السَلَفي، بطريقة مُعلَنَة وخفيَّة، أو أضافَ أو أوَّل صِفَةً، كافرٌ، و"الطريقُ إلى الله لابد له من أعداءٍ قاعدينَ عليه، أهل فصاحَةٍ وعلمٍ وحجج، فالواجِب عليك أن تعلَم من الدينِ ما يفيدُ سلاحاً لك تقاتل به هؤلاءِ الشياطين"، إذ ينطلق مِن أُفق نصي وحرفي، ليرسِم صورة للإله، لا تعتني "بالخضوع لقوَّة مطلقة للتحرر من قوى مُقيدة، بل بالخضوع لنصوص حرفيَّة، فهو توحيد الخضوع الخارجي، وليس الانقياد الداخلي للألوهيَّة، لا يحضر الله كنور في قلبِ الإنسان، ويضيء عالمه، بل كآمر، يهدد ويتوعد وينتقم ويكره ويتبرأ ويشهر سيفه المسلول، ليس تجربة روحيَّة مع المطلق، بل احتراب مع المختلف والصراع معه وغزوه وقتله" (الديري، ٢٠١٧، ص٩٥). ومن السلفيَّة انبثقت الحركات السياسية الدينيَّة المتطرفة الحديثة، كرد فعل على التحديث والاستعماريَّة، وتكثفت في الحرب السوفيتية الأفغانيَّة (١٩٧٩-١٩٨٩) لتُنتِج تنظيم القاعدة (١٩٨٨)، الذي انبثق منه تنظيم القاعدة في العراق (٢٠٠٤-٢٠٠٦) بزعامة أبو مصعب الزرقاوي (١٩٦٦-٢٠٠٦)، ليتحوَّل إلى مجلس شورى المجاهدين (٢٠٠٦)، بزعامة أبو عمر البغدادي (١٩٥٩-٢٠١٠)، ثم تنظيم الدولة الإسلاميَّة (٢٠٠٦-٢٠١٣)، لينتهي بزعامة أبو بكر البغدادي (١٩٧١-٢٠١٩) إلى تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش" (يُنظر: الهاشمي، ٢٠١٥).

العراق معقِل شيعة العالَم، ففيه تشكَّل التشيُّع، وضمَّ مقدساته، ومرجعيَّاته، كما شهد فيه مأساته الهوياتيَّة الكربلائيَّة، وكذلك قمعه في المرحلة العباسيَّة، وكان المسرح الرئيس لصراع الامبراطوريتين الصفويَّة (الشيعيَّة) والعثمانيَّة (السنيَّة)، الذي أنتج مذابِح متبادلَة كثيرة، وشكَّلَ – بحسب الوردي – أحد معلَمي مجتمعه الأساسيين (الوردي، ٢٠٠٥، ج ١، ص

١١). وانعكس كل ذلك في بناء الدولة العراقيَّة الحديثة، حيث "حكومة عربيَّة سنيَّة" – بحسب تعبير فيصل – تحكم "أكثريَّة شيعيَّة"، لينقلب الوضع – بعد تكاثف التوترات على المستوى الإقليمي – عند إسقاط النظام الصدامي باحتلالٍ أمريكي، وحكومة ناتِجَة حوَّلَت الهيمنة إلى الشيعة، وأخذ الشيعة – نتيجة الكبت الطويل – بالتنفيس عن رغباتهم وطموحاتهم بشكل مفرط، كما عملت الحكومة الشيعيَّة – ضمناً أو صراحَة – على إرسال رسائِل تهديديَّة للسنَّة، مما عمَّق المخاوِف، وجعل المجتمعات السنيَّة تعيش هاجِس الاقصاء والاستهداف، وتتعاطَف – إلى حد ما – مع القوى المعادية للحكومة الشيعيَّة، وتطورَّت الحالة في الصراعات الطائفيَّة (٢٠٠٥-٢٠٠٧)، التي أوجدت انقسامات حادَّة دمويَّة بين الجماعتين، ومن هذه الفجوة تمدَّدت الحركات المتطرفة لتتغلغل في المناطِق السنيَّة، ومع إخفاق الحكومة في بناء مؤسسات رصينة، واستنزاف الفساد السياسي والمالي للمؤسسات الضعيفة، تمكَّن تنظيم داعش من بسط سيطرته على المحافظات الغربيَّة السنيَّة، لينتهي باحتلال الموصِل (٢٠١٤)، وإعلانِ الخلافة الإسلاميَّة، ذلك الاحتلال الذي تواصل لثلاث سنوات، حتى نهايته في (٢٠١٧)، وفي أثناءاحتلاله كانت الجماعة الشيعيَّة هدفه الأساس، فابتدأ بمذبحة سجن بادوش، حيث عزل السجناء الشيعة وقتلهم، ثم مذبحة معسكر سبايكر للجنود الشيعة، ليمتد إلى الديانات الأخرى، فكان تهجير المسيحيين، ثم الكارثة الإيزيدية، حيث التهجير، والقتل ،والاسترقاق، ليخلف – عند نهايته – (٢٠٢) مقبرة جماعيَّة.

الخلفية التاريخيَّة للصراع المذهبي، في سياق من العنف الثقافي، وإيديولوجية أصولية متطرفة، ولَّدَت تحيزات مُمأسَسَة، وفقدان الفرص والامتيازات للجماعة الشيعيَّة على مدى تاريخي طويل، وتكوين صور نمطيَّة سلبيَّة متبادلة، وصمَت الجماعة بالكُفر والتخريب، لتأتي الأزمات المُزعزِعَة، متمثلة بالتحديث والاستعمار الذي هدد الهوية العقائدية، ولاسيما مع التوجهات السلفية، والتغيير الأمريكي للنظام في العراق الذي قلب الهيمنة تجاه الشيعة، والتهديدات المدركة للحكومة الشيعية، فصار الشيعة كفرة ومتأمرين ومهددين، وبذلك اجتمعت كل ممهدات خطاب التجريد من الإنسانيَّة واشتغال آليات الانفصال الأخلاقي. ومع وجود القادة التسلطيين، بل النيكروفيلين، الشغوفين بالموت، بلا شك ستكون النتيجة استلاب الحقوق الإنسانية والوجوديَّة، للجماعات المُستبعدَة أخلاقياً، في ظل قوَّة ضاريَة، بمسوغات قداسويَّة، تبيح للمنفذين الممارسات اللاإنسانيَّة الإفلات من العقاب الرسمي والشخصي، فهم مجرد أدوات مُكرَهَة، لا تمتلِك إلا إطاعة الأوامر، في ثقافة تسلطية، ومتماهية بالسلطة، ومُقدسة للطاعة، ومسكونة بالخوف. فكانت الإبادة الجماعيَّة نتيجة طبيعية لذلك الخطاب والموقف التوحشي، إذ إن غطاءه الديني يمنحه قوَّة وحصانَة إضافيَّة هائلة.

دروس العنف المُسيَّس والمُقدَّس

تتفق أغلَب دراسات الإرهاب والتطرف والإبادات على أن الممارِسين عاديون، لا شخصيَّات مضطربة و/أو استثنائيَّة، وهنا تكمُن خطورتهم، إذ يعني ذلك أن الناس العاديين يُمكنهم التحول إلى قَتَلَة تدميريين ببساطة، عند توافر سياقات مُعيَّنة (Hudson, 1999, Borum, 2004, Bjørgo, 2005, Brynjar & Katja, 2005, Dutton، ٢٠٠٧). فعند اجتماع الثقافة التاريخية المتضمنة للتوجهات العنفية ،والمنظومات القيمية التسلطية ،والتوترات بين الجماعات، والمُراكِمَة للصور النمطية السلبية، والذاكرات التقاطعيَّة، مع البنية الموقفية المتضمنة لأزمات حادة وقادة تسلطيين ،وفرص وظروف مواتية، والبنية النفسيَّة المتضمنة للتصنيفات الاجتماعية وديناميات الانفصالية الأخلاقيَّة، بلا شك ستتولَّد الصراعات الداميَّة ذات النزعة الإباديَّة، حيث سيوجد عالَمان، عالَمٌ الـ "نحن" الفاضِل المُحق الأبيض، وعالَم الـ "هم" السافِل الباطل الأسود، عالم لا يضم بشراً، بل كائنات تحت البشرية، وخونة، وعملاء، وغوغاء، ومخربون، وكفرة، ومارقون، وشياطين، كائِنات يجب أن تُسحَق لتتحقق الحياة الجيدة، فسحقهم قضية أخلاقية – سياسية و/أو دينية – ايجابيَّة، لبناء وطن مستقر و/أو تطبيق الرسالة السامية.

الثقافة والبنية الاجتماعية – إذن – هي الممون الرئيس للخطابات الإباديَّة، فهي التي تخلِق وتمأسس الانقساميَّة، وتبعَث القيادات التسلطيَّة ،وتؤمن الخضوع لهم عبر تكريس قيم الطاعة والانصياع، وتوجِد الظروف المناسبة للبنيات الظالِمَة؛ ولذلك فإن الاشتغال على منع الإبادة يجب أن ينطلق من هذه النقطة، من إيجاد ثقافة وبنية اجتماعية "إنسانيَّة"، حيث ثنائيَّة الـ "نحن – هم" لا تكون موجودة؛ لأنَّ الجماعة الإنسانيَّة – ككل – هي الجماعة الداخليَّة، أو موجودة بطريقة أغنائيَّة، لا تقاطعيَّة، بمعنى تقييم التعدديَّة البشريَّة بطريقة ايجابيَّة، فالحدود الفاصلة بين الجماعات الداخلية والخارجية ليست حدوداً نهائيَّة تفضيليَّة، بل تنوعيَّة تكامليَّة، ثقافة ذات خطاب ناقد ونابذ لكل خطابات الكراهية ،والتعصب ،والتمييز، ومتمركز حول مقولات الحقوق والكرامة والمحبة الإنسانية، وكل ذلك يترجم إلى بنية سياسية اقتصادية "عادلة"، حيث قيمة المواطنة المتساوية في الفرص والإمكانيات، وحق تقرير المصير للجماعات المتنوعة بلا إكراهات وتخوينات، وتطوير الخدمات والمؤسسات بما يسنِد حياة كريمة للجميع، وتجنب الهيمنة الاجتماعية و/أو السياسية و/أو الاقتصادية.

لم يتمكَّن العراق، والعالم العربي، من بناء نظام سياسي اجتماعي "إنساني"، لأنَّهُ لم يستطع استيعاب الجماعات ضمن ثقافة ودولة عقلانيَّة، بل اجتاحته الإيديولوجيات القوميَّة الشوفينيَّة والدينيَّة المُتطرفة، وكانت أنظمته تسلطيَّة، قائِمَة على التلاعُب :بالهويَّات،

والذاكرات ،والاحتياجات، فليس من الغريب – بل هو المتوقع – أن ترتسم خطوطاً دمويَّة بين جماعاته، وتتناسَل فيه القوى التدميريَّة.

المراجع

١. ابراهيم، حسنين توفيق (١٩٩٩) ظاهرة العنف في النظم العربية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
٢. الإسفراييني، أبو المظفر (١٩٨٣) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين. بيروت: عالم الكتب.
٣. الأيوبي، نزيه (٢٠١٠) تضخيم الدولة العربية: السياسة والمجتمع في الشرق الأوسط. ترجمة أمجد حسين. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
٤. جبر، لؤي خزعل (٢٠١٨) الذاكرة التاريخية والثقافة السياسية: دراسة نفسية في ديناميات العجز المتعلم الجمعي في المجتمع العراقي. جامعة الكوفة: سلسلة دراسات فكرية.
٥. جبر، لؤي خزعل (٢٠٢٠) البنية النفسيَّة الاجتماعيَّة للدولة التسلطيَّة العراقيَّة: مُقاربة إنسانيَّة نقديَّة . بحث قدم في مؤتمر العلوم الاجتماعية والإنسانية للمركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، (٣-٢٠٢١).
٦. جبر، لؤي خزعل (٢٠٢٠) الدين والإيمان والأخلاق: دراسات في علم نفس الدين النقدي. جامعة الكوفة: سلسلة دراسات فكرية.
٧. الجزائري، زهير (٢٠٠٦) المستبد: صناعة قائد صناعة شعب. بيروت: معهد الدراسات الاستراتيجية.
٨. جيرار، رينيه (٢٠١٩) العنف والمقدس. ترجمة: سميرة ريشا. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
٩. الحسني، عبد الرزاق (٢٠٠٨) تاريخ العراق السياسي الحديث. بيروت: الرافدين للطباعة.
١٠. الحفني، عبد المنعم (١٩٩٣) موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلاميَّة. القاهرة: دار الرشاد.
١١. داويشة، عضيد (٢٠١٩) العراق: تاريخ سياسي من الاستقلال إلى الاحتلال. ترجمة: سامر طالب. بيروت: مركز الرافدين للحوار.
١٢. دوكر، جون (٢٠١٨) أصول العُنف: الدين والتاريخ والإبادة. ترجمة: علي مزهر. جامعة الكوفة: سلسلة دراسات فكريَّة.
١٣. ديب، كمال (٢٠١٣) موجز تاريخ العراق: من ثورة العشرين إلى الحروب الأمريكية والمقاومة والتحرير وقيام الجمهورية الثانية. بيروت: دار الفارابي.
١٤. الديري، علي أحمد (٢٠١٧) إله التوحش: التكفير والسياسة والوهابية. بيروت: مركز أوال للدراسات والتوثيق.
١٥. سالم، أحمد وبيوني، عمرو (٢٠١٥) ما بعد السلفيَّة : قراءة نقدية في الخطاب السلفي المعاصر. بيروت: مركز إنماء للأبحاث.
١٦. شتاوب، أرفين وبارتال، دانيال (٢٠١٠) . الإبادة الجماعية والقتل الجماعي والنزاع المتصلّب. في دافيد سيرز وليوني هادي وروبرت جيرفس (تحرير) المرجِع في علم النفس السياسي. ترجمة: ربيع وهبة ومشيرة الجزيري ومحمد الرخاوي. القاهرة: المشروع القومي للترجمة. (ص ١١٧٧-١٢٤٠).
١٧. العاملي، محمد قانصوه (٢٠٠٩) الأدلة الدامغة على أئمة الفرقة الناجية الشيعة الإثني عشرية. بيروت: دار الصفوة.

١٨. عثمان، محمد فتحي (١٩٨١) السلفيَّة في المجتمعات المُعاصرة. الكويت: دار القلم.
١٩. العلوي، حسن (١٩٩١) الشيعة والدولة القومية. دار الثقافة.
٢٠. عمارة، محمد (١٩٩٤) السلفيَّة. تونس: دار المعارف.
٢١. غريب، أدمون (١٩٧٣) الحركة القومية الكردية. بيروت: دار النهار.
٢٢. لازاريف، م. س. (٢٠١٣) المسألة الكردية. بيروت: دار الفارابي.
٢٣. مكية، كنعان (٢٠٠٥) القسوة والصمت: الحرب والطغيان والانتفاضة في العالم العربي. بيروت: منشورات الجمل.
٢٤. مكية، كنعان (٢٠٠٩) جمهورية الخوف. بيروت: منشورات الجمل.
٢٥. مبير، رول (٢٠١٤) السلفيَّة العالميَّة: الحركات السلفيَّة المُعاصرة في عالم متغير. ترجمة: محمد محمود التوبة. الشبكة العربية للأبحاث.
٢٦. النفيسي، عبد الله (٢٠١٣) دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث. الكويت: مكتبة آفاق.
٢٧. النقيب، خلدون حسن (١٩٩٦) الدولة التسلطية في المشرق العربي المعاصر: دراسة بنائية مقارنة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
٢٨. الهاشمي، هشام (٢٠١٥) عالم داعش: من النشأة إلى إعلان الخلافة. لندن: دار الحكمة.
٢٩. الوردي، علي (١٩٦٥) دراسة في طبيعة المجتمع العراقي. بغداد: مطبعة جامعة بغداد.
٣٠. الوردي، علي (٢٠٠٥) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث. بيروت: دار الراشد.
31. Bjørgo, T. (2005) Root Causes of Terrorism: Myths, reality and ways forward. Routledge.
32. Borum, R. (2004) Psychology of Terrorism. University of South Florida.
33. Brynjar, L. & Katja, S. (2005) Causes of Terrorism: An Expanded and Updated Review of the Literature. Norway: Norwegian Defence Research Establishment.
34. Dutton, D. (2007) The psychology of genocide, massacres, and extreme violence : why normal people come to commit atrocities. London: Praeger Security International.
35. Hudson, R. (1999) Sociology and Psychology of Terrorism. Library of Congress: Federal Research Division.
36. Woolf , L. M. & Hulsizer , M. R. (2005) Psychological Roots of Genocide : Risk, Prevention, and Intervention. Journal of Genocide Research, Vol. 7, No.1, pp.101-128.

Social Psychological Dynamics of the Saddamist and ISIS genocides in Iraq

Prof. Dr. **Luai K. Ghabr**

Abstract: Genocide is an attempt to wipe out an entire group of human beings, either directly by killing them, or indirectly by creating conditions favorable to their death, for disciplinary purposes aimed at punishing, blaming and retaliating against the victim, routine institutionalization in the context of war, utilitarianism aimed at achieving a specific gain, A monopoly aimed at identifying the dominant in power, and an ideology aimed at creating an optimal society and erasing all that is impure. The scientific study of genocide in a calm cognitive way is a humanitarian and historical necessity, because the horrific and tragic outcomes of this phenomenon threaten the depth of human existence and human values. It is a complex phenomenon that can be approached from multiple sides, philosophical, political, sociological, economic, historical and psychological, each of these approaches has a great value in understanding the phenomenon, but the psychological and social dimensions are at the core of these approaches. In a previous study by the researcher on the Iraqi historical memory (Ghabr, 2014), the strength of the presence of the genocides - Saddamism and terrorism - was found among the most important events in contemporary Iraqi history in the Iraqi historical memory, and it fell within the first factor (suffering) in the content of that memory, the factor that Intertwined with a complex web of relationships with political cultures and social movements. Therefore, the current study will work on clarifying the

psychosocial dynamics of genocide through a comprehensive review of the specialized literature, and employing those insights in understanding the genocide in the Iraqi context, as the Iraqi context witnessed multiple and horrific genocide campaigns, in the time of totalitarianism and Daaeshism, and such an approach constitutes an existential necessity in Iraq.

Keywords: Genocide, Historical Memory, Societal Beliefs, Cultural History, Moral Disengagement.